فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله
يـــــــقـــــــدم

البر طريق الجنة

لفضيلة الشيخ : محمد حسان

رابـــط الـــــمادة : ://www.way2allah.com/modules.php?name=Khotab&op=Detailes&khid=26917

السلام عليكم ورحمه الله وبركاته ، إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله

"يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون" آل عمران : ١٠٢

"يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءاً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً" النساء : ١

"يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يُصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يُطع الله ورسولهُ فقد فاز فوزاً عظيماً" الأحزاب ٧٠ : ٧١

أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثةٍ بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار...ثم أما بعد فحياكم الله جميعاً أيها الأخوة الأخيار وأيتها الأخوات الفاضلات ، وطبتم وطاب ممشاكم وتبوأتم جميعاً من الجنة منزلاً ، وأسأل الله جل وعلا الذى جمعنا فى هذا البيت المبارك على طاعته أن يجمعنا فى الآخرة مع سيد الدعاة فى جنته ودار مقامته إنه ولى ذلك ومولاه

أحبتى فى الله البر طريق الجنة هذا هو عنوان لقاءنا مع حضراتكم فى هذا اليوم المبارك ، وكعادتى حتى لا ينسحب بساط الوقت سريعاً من تحت أقدامنا ، فسوف أركز الحديث مع حضراتكم تركيزاً فى هذا الموضوع الرقيق الرقراق فى العناصر التالية:

أولا : فضل البر ...ثانيا : البر فى حياة الأنبياء والصالحين ...ثالثا : البر لا ينقطع ...وأخيرا : كيف نحقق البر

فأعيرونى القلوب والأسماع والله أسأل أن يجعلنا من الأبرار إنه ولى ذلك والقادر عليه

حال الأمه مع فقد البر

أحبتى فى الله

حال أمتنا حال عجيبة وهى لعمر الله بائسة كئيبة ... يجتاحها الطوفان طوفان المؤامرة الرهيبـــــة

ويخطط المتأمرون كى يغرقوها فى المصيبـــــة ... وسيحفرون لها قبوراً ضمن خطتهم رحيبـــــة

قالوا السلام قلت يعود الأهل للأرض السليبة ... وسيلبس الأقصـــى غداً أثواباً خشيبة

فإذا سلامهم هو التنازل عن القدس الحبيبـــة فبئس ... سلامهم إذاً وبئست هذه الخطط المريبة

واقع أليم ...دماء تسفك وأشلاء تمزق ، وأعراض تنتهك ومقدسات تدنس ، ومؤامرة بعد مؤامرة وأرض تحتل ووطن يباع ، واقع ما غاب عنى وما غبت عنه ، طالما شخصنا هذا الداء وطالما حددنا له الدواء من كتاب رب الأرض والسماء ومن سنة

صفوة وإمام الأنبياء ، واقع لا نجهله ما غاب عنا وما غبنا عنه ، ومع ذلك فأنا أحدثكم اليوم فى هذا الموضوع الذى ربما يتصور البعض الآن أننا بحديثنا فى البر نتنكر لهذا الواقع الأليم الذى نحياه ...كلا كلا لقد تخلف ثلاثة من أصحاب المصطفى صلى الله عليه وسلم عن غزوة واحدة غزوة تبوك فضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا ألا ملجأ من الله إلا إليه لمجرد أن تخلفوا عن غزوة واحدة ، فما الظن إن تخلفنا عن منهج الله وعن منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم

أنا أتساءل بحسرة كيف يغير الله هذا الواقع وقد خلت الأمة من الأبرار إلا من رحم العزيز الغفار ؟ لو نظرت نظرة فاحصة مدققة لواقع كثير من المسلمين من الشباب والفتيات ، ونظرت ودققت لبكيت دماً بدل الدمع على ما صار إليه الحال فكيف تتنزل الرحمة ؟ كيف ترفع النقمة ؟

كيف يرفع الله البلاء وأنت ترى صورة مؤلمة من صور العقوق ولا ترى البر المشرق الذي جعله الله تبارك وتعالى سبباً من أسباب السعادة والنجاة والفلاح والفوز في الدنيا والآخرة ؟ سببان دفعانى للحديث اليوم عن هذا الموضوع الجليل مع ما أعلمه وتعلمونه من واقع أليم

أولاً : فضل البر

السبب الأول : أخ من أحبابنا يصلى معنا الآن ويجلس بين يدى الآن أشهد الله وأنا على منبر رسوله أننى تعلمت منه البر تعلمت منه كيف يكون البر لأبيه ؟ كيف يكون البر لوالدته مع أن أباه أسأل الله أن يرحمه رحمةً واسعً قد توفى من أشهر ليست طويلة ، ومع ذلك لا أرى هذا الإبن البار ينسى والده أبداً وطالما هاتفنى واتصل على وحدثنى عن والده ، لدرجة أننى شعرت والله بالخجل والتقصير مع والدى ، أسأل الله أن يرحمه

فصلة الرحم أيها الأفاضل لا تحتاج فقط إلا إلى قلب حى امتلأ بحب الله جل وعلا وبحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبمعرفة قدر الوالدين هذا سبب من الأسباب

السبب الثانى : رسالة مؤثرة وصلتنى فى الأسابيع الماضية من والد من آباءنا الكرام قد تجاوز الخامسة والسبعين من عمره ، رزقه الله سبعة من الأولاد كلهم الآن يحتلون مكاناً اجتماعياً مرموقاً ، يبكى إلىّ هذا الوالد الذى سطر الرسالة بدموعه بل والله بدمه ...يشكوا إلىّ عقوق أولاده جميعاً فلم يعد واحد منهم يسأل عنه لا من الذكور ولا من البنات ! وإنا لله وإنا إليه راجعون

أيها المسلم ... أيتها المسلمة ...أنت تبحث عن السعادة ، أنت تريد سعة الرزق ، أنت تريد أن يكشف الله همك ، تريد أن يفرج الله كربك ، بل كل منا يريد أن يجاهد الآن فى سبيل الله ستعجب إذا علمت أن الطريق أمام عينيك وبين يديك وأنت فى غفلة !

يا من تظن أنك إن قمت الليل وصمت النهار قد وصلت إلى رضوان العزيز الغفار مع أنك لم تحقق البر هيهات هيهات ....هيهات هيهات ...لا يقبل الله منك صرفاً ولا عدلاً ، لا يقبل الله منك فرضاً ولا نفلاً ، ما دمت عاكفاً على هذا العقوق الأسود ، ما دمت لم تحقق البر بوالديك اسمع لقول ربك جل جلاله الذى أمر أول ما أمر بتوحيده سبحانه وبعبادته ، فما من نبى بعثه الله ولا رسول إلا ودعا قومه ...أول ما دعاهم إلى توحيد الله جل وعلا وإلى عبادة الله وحده بلا منازع ولا شريك ، وقرن الله الأمر بتوحيده وعبادته ، قرن به الأمر بالبر وبالإحسان إلى الوالدين ، تدبر معى القرآن قال تعالى "وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً* وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً" الإسراء:٢٣

وقال جل وعلا "وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً" النساء: ٣٦

بعد الأمر بعبادته وتوحيده وقال جل وعلا "وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانا" البقرة: ٨٣

آيات كثيرة بل لقد قال بن عباس رضى الله عنهما : ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث لا يقبل الله واحدة إلا بقرينتها الأولى قال تعالى"أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ" النساء :٥٩ فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه الثانية"وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ" البقرة: ١١٠ فمن أقام الصلاة ولم يأت الزكاة لم يقبل منه الثالثة"أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ" لقمان: ١٤ فمن شكر لله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه ،أيها الحبيب البر طريقك إلى الجنة اسمع لقول النبى صلى الله عليه وسلم كما فى الحديث الذى رواه أحمد فى مسنده والنسائى فى سننه وغيرهما بسندٍ صحيح

أنه صلى الله عليه وسلم قال : "دخلت الجنة" وفى لفظٍ "رأيت الجنة" أى فى الرؤيا "فسمعت قراءة" سمع النبى صلى الله عليه وسلم صوت يقرأ القرءان فى الجنة فقال النبى صلى الله عليه وسلم :"من هذا ؟" فقيل :"حارسة بن النعمان" وهو من أهل بيعة الرضوان اسمع ماذا قال النبي عليه الصلاة والسلام ؟ قال "كذلكم البر ...كذلكم البر ...كذلكم البر" وكان أبر الناس بأمه أوصلته هذه الطاعة إلى هذه المكانة ، سمع النبي صلى الله عليه وسلم قراءته للقرءان في الجنة لأنه كان أبر الناس بأمه

بل فى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال"رغم أنفه" أي ذل وهان والتصق بالتراب "رغم أنفه ...رغم أنفه ...رغم أنفه" بيان نبوى بأسلوب بليغ فيه دعاء على مجهول بالذلة والخسران "رغم أنفه ...رغم أنفه... رغم أنفه" قيل :"من يا رسول الله ؟" قال "من أدرك والديه عند الكبر أحدهما أو كلاهما ثم لم يدخل الجنة من أدرك والديه عن الكبر أحدهما والد أو والده أو كلاهما" الوالدان معاً "ثم لم يدخل الجنة" فبين يديك ورب الكعبة تجارة رابحة مغبون من فرط فى رأسمالها ، خسران فى الدنيا والآخرة من ضيع رأس ماله هذا ، إنها تجارة لم تبور ولن تبور ، إنها تجارة الإحسان بل والمبالغة فى البر مع الوالدين ، يا من تجرى يمنة ويسرة ، يا من تبحث عن الرزق بأى سبيل ...إعلم بأن من أعظم أسباب السعة فى الرزق ...بل ومن أعظم أسباب البركة فى العمر أن تكون باراً بوالديك

البر وطول العمر

روى البخارى ومسلم من حديث أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال "من أحب أن يبسط له فى رزقه" تدبروا كلام النبى صلى الله عليه وسلم "من أحب أن يبسط له فى رزقه وينسأ له فى أثره فليصل رحمة"

أخى وأنت تشترى طعاماً جميلاً لبيتك لامرأتك وأولادك هل فكرت أن تشترى من هذا الطعام قبل شرائك لامرأتك وأولادك هل فكرت أن تشترى منه وأن تطعم منه والدك ووالدتك ؟ من المسلمين الآن من يخفى الطعام وألوان الفاكهة وهو يعبر الطريق لامرأته وأولاده حتى لا يشم رائحة الطعام أو رائحة الفاكهة أبوه أو أمه ولا حول ولا قوة إلا بالله

هل فكرت فى أن تطعم والديك من أحب ما تأكل ؟ هل فكرت فى أن تكسوا والديك من أحب ما تلبس ؟ هل فكرت أن تسمع والديك من أحب ما تسمعه ؟ هل تحسن إلى الوالدين فى كل ميدان من ميادين الإحسان بلا تفصيل ؟ سعة الرزق ثمرة حلوة لبرك بوالديك ، بركة العمر ثمرة حلوة لبرك بوالديك ، واعلم بأن الرزق ليس مالاً فقط ...لا لا حب الناس لك رزق ، القبول الذى وضعه الله فى وجهك فى الأرض رزق ، الزوجة الصالحة رزق ، الإبن البار الصالح رزق ، السمعة الطيبة رزق ، العمل الصالح رزق ، الإيمان رزق ، حب النبى صلى الله عليه وسلم رزق ، الحلم رزق ، العلم رزق ....كلها أرزاق

يا من أردت أن يوسع الله رزقك من المال ومن أعمال البر والطاعات ها هو السبيل بين يديك ، فالزمه ... لا تحد عن هذا الدرب أبداً إنه طريق البر ، إنه طريق الإحسان ، ثم يبارك الله بالبر أجلك وعمرك ، هل معنى ذلك أن الله عز وجل سيطيل عمرى على سبيل الحقيقة إن كنت باراً بوالدي ؟ لا مانع ، فما قولك إذا بقوله تعالى "فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ" النحل: ٦١ وكيف تجمع بين هذا وبين قولك الآن ؟

قال أهل العلم وفى ذلك قولان:

الأول : أن البركة فى العمر تكون بتوفيق الله للبار بوالديه ، تكون بتوفيق الله له بعمل الطاعات ، فيصير عمرك ولو كان قصيراً مباركاً ، فكم من عمر طالت آماده وقلت أمداده ؟ وكم من عمر قلت آماده وعظمت أمداده ؟ يموت بعد مائة سنة ورصيده عند الله صفر بدون رصيد ! عليه من الأوزار والسيئات ظلم هذا وشتم هذا وسفك دم هذا وأكل مال هذا ، فيأتى يوم القيامة فيأخذ هذا من حسناته وهذا من حسناته ، حتى إذا ما فنيت حسناته أخذ من سيئات من ظلمهم ثم طرحت عليه فطرح على وجهه فى النار

و رجل يموت فى ريعان شبابه يموت فى الثلاثين من عمره مكانته عند الله عالية ، هل تعلمون أن معاذ بن جبل رضى الله عنه قد توفى فى الثالثة والثلاثين من عمره وقد سطر على جبين الزمان وصفحات الأيام هذه السيرة العطرة فى هذه السنوات القليلة الماضية ؟ هل تعلمون أن نبى الله نوح على نبينا وعليه الصلاة والسلام قد مكث فى الدعوة فقط ألف سنة إلا خمسين عاماً ومع ذلك ما آمن معه إلا قليل ، والمصطفى صلى الله عليه وسلم مات فى الثالثة والستين من عمره ومع ذلك هدى الله عز وجل به وعلى يديه ملايين البشر ، ومازالت الأمة تتكاثر ، فالأمة كلها فى ميزان المصطفى يوم القيامة ، فكم من عمر طالت آماده وقلت أمداده وكم من عمر قلت آماده وعظمت أمداده ، إنه عمر الحبيب المصطفى ...إنه عمر الصالحين بعد ذلك الذين يسيرون على درب رسول الله يبارك الله لهم الأعمار بتوفيقهم إلى الطاعات لعمارة هذه الساعات

القول الثانى: قالوا بأن الله جل وعلا يقول فى كتابه "يَمْحُو اللّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ" الرعد : ٣٩

فالمحو والإثبات بالنسبة لعلم الملك الموكل من الله بالأعمار إن شاء الله عز وجل محى وإن شاء الله أثبت ، أما بالنسبة لعلم الله جل وعلا فإنه لا يتغير ولا يتبدل ، فالله يعلم ما كان وما هو كائن وما سيكون ، فلا تعارض البتة بين قول الله جل وعلا "فإذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعةً ولا يستقدمون" النحل: ٦١ وبين قوله"يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب" الرعد: ٣٩

بـــرك يفـــــرج كربـــــك

فالبر أيها الأحبة سبب لسعة الرزق ، سبب لبركة الأعمار البر أيها البار ، البر سبب لتفريج الهم والغم والكرب ، من منا الآن لا يحمل هموماً فى قلبه وفوق رأسه ؟ لا أحد... كل له همومه ، كل له آلامـــــــه ، كل له أحزانه فعليك أن تعلم علم اليقين إذا أردت أن يفرج رب العالمين كربك وأن يكشف رب العالمين همك ها هو الطريق

هيا تحرك واخطوا عليه أول خطوة من اليوم ، اذهب إلى والديك فقبل الأرجل قبل الأيدى وقبل الرأس قبل الأيدى ، وعاهد الله جل وعلا من الآن أن تقف بين يدى والدك كوقفة العبد الذليل بين يدى سيده بل وزيادة ، قف بين يدى والدك وبين يدى أمك وقفة العبد الذليل الخاضع بين يدى سيده ...وزيادة ؟ نعم وزيادة ، اسمع لقول الصادق صلى الله عليه وسلم ففى

الصحيحين من حديث بن عمر قال :" انطلق ثلاث نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار"

تصور معى المشهد : ثلاث فى سفر انطلقوا فى صحراء مقفرة مهلكة ، فوجدوا غاراً فدخلوا الغار ليبيتوا ليلتهم فإذا ما أصبح الصباح انطلقوا إلى حيث شاء الله لهم وقدر ، وفجأة انحدرت صخرة ...تدحرجت صخرة ضخمة من أعلى الجبل فسدت عليهم الغار تماماً ، حجبت عنهم الماء والهواء بل وأسباب الحياة قاطبة ، تصور معى هذا المشهد ، تصور أنك فى هذا المكان وأنت تنتظر الموت فى أى لحظة من اللحظات ، اصرخ ...من يسمعك من البشر ؟ نادى ...من يجيبك من الخلق ؟ حينئذٍ لا يراك ولا يسمعك إلا الله الذى يسمع دبيب النملة السوداء تحت الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء

فطن هؤلاء الأفاضل إلى هذا ، فقالوا :"اعلموا بأنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم"

أخى أنا أسألك بالله الآن ...الآن لو وقعت فى كرب هل تتذكر من الأعمال الصالحة التى ترجو أن يفرج الله بها كربك ؟ هل تذكر عملاً واحداً من أعمالك التى تظن أنك لو توسلت بها - التوسل إلى الله بالعمل الصالح مشروع - هل تظن أنك الآن تملك وتذكر عملاً صالحاً لا شائبة فيه من شوائب الرياء ولا من شوائب النفاق ولا من شوائب العجب والكبر ؟ هل تظن أنك تتذكر الآن عملاً صالحاً ترجوا الله سبحانه أن يفرج به كربك وأن يكشف به همك إن توسلت إليه به

قال الأول : صاحب الباع الأعظم والكرامة الكبرى ، انظروا إلى ثمرة البر الكبرى "اللهم إنه كان لى أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما مالاً" يعنى كنت لا أقدم اللبن ...تسمى غبوقاً ،كنت لا أقدم اللبن لأهلى ولا لأولادى ولا لمالى أى خدمى وعبيدى ورقيقى ، كنت لا أقدم اللبن لامرأتى ولا لأولادى ولا لخدمى إلا بعد أن أقدم اللبن لوالدى "وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً فنئا بى طلب الشجر يوماً" انصرف إلى عمله ليحتطب..ليجمع حطباً ، فتأخر على والديه عن الموعد الذى يذهب فيه يومياً إلى والديه ليقدم لهم الطعام أو يقدم لهم الشراب "فنئا بى طلب الشجر يوماً فلم أرح عليهما" أى فتأخرت عليهما لم أرجع إليهما إلا متأخراً ، قال :"فذهبت إليهما" إسمع ! "فوجدتهما نائمين فكرهت أن أوقظهما" انظروا إلى الأدب ، استحيا من الله أن يوقظ والديه ، لم يسب والديه... لا... لم ينهر والديه ...لا... لم يعاتب والديه فى أمر زوجته أو فى أمر ولده ...لا... لم يعاتب والديه فى أمر مال أو فى أمر ميراث ، وإنما استحيا أن يوقظ والداه مع أنه حمل لهم الشراب ، فماذا يصنع ؟ جزاك الله خيراً أيها الإبن البار... أديت ما عليك ، أخذت اللبن وذهبت إلى والديك فارجع أطعم أولادك ...فأطعم أطفالك ...لا لا ليس هذا من فعل الأبرار ...بلى ...ولا يرتقى إلى هذه القنطرة إلا الأخيار

فظل هذا الرجل المبارك يحمل القدح يحمل إناء اللبن على يديه وظل واقفاً إلى جوار والديه حتى برق الفجر ، أعلم أن الكلام شديد علينا لا يستوعبه كثير منا ، أعلم يقيناً أن الكثيرين لا يستوعبون مثل هذا لأننا ما ذقنا طعم البر ...ما تذوقنا حلاوة البر نعيش عالماً مادياً جافاً بلغت فيه القلوب الحناجر - قلوب الصادقين - من هذا الواقع النازف المر الأليم، أعلم أن كثيرا من المسلمين الآن لم يتذوقوا حلاوة هذا البر ، بل ربما يهزء الكثيرون منا الآن لهذا الرجل البار الذى وقف طوال الليل ، بل والحديث يقول :"والصبية يتباغون عند قدميه" أولاده يصرخون يبكون من شدة الجوع ، لكنه عاهد الله جل جلاله ألا يطعم امرأته وأولاده إلا بعد أن يطعم والديه ،"فظل واقفا حتى برق الفجر" حتى أصبح الصباح "فقدم لهما غبوقهما فشربا قالا اللهم إن كنت تعلم أنى قد فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه" فانفرجت الصخرة إلى آخر الحديث

وهذا هو الشاهد البر أيها الأبرار سبب لتفريج الكربات ، سبب لكشف الهموم ، سبب لإزالة الغموم والأحزان والآلآم ، البر طريقك إلى مرضات الحق تبارك وتعالى

أيها الصائم أيها المصلى أيها الموحد يا من أنفقت الآلاف للحج ، يا من أنفقت الآلاف فى العمرة ، يا من واظبت على مجالس العلم يا من صمت النهار وقمت الليل ، الغاية من كل هذا أن تحقق رضوان الله أن يرضى عنك ربك جل فى علاه ، هل تعلم أن طريق الرضا بين يديك وأمام عينيك ؟ فى كلمة حلوة ...فى ابتسامة عذبة ...فى قبلة تطبعها على يدى أبيك... أو على يدى أمك ، فى قبلة تطبعها على جبين أبيك أو على جبين أمك ، فى لقمة شهية فى ملبس جميل على قدر ما تستطيع

فاتقوا الله ما أستطعتم ، إنه الطريق طريق البر ، اسمع لقول الرسول صلى الله عليه وسلم كما فى الحديث الذى رواه الطبرانى بسند صحيح قال عليه الصلاة والسلام "رضى الرب فى رضا الوالدين وسخط الرب فى سخط الوالدين"

بر والديك وإن كانا كافرين

ميزان دقيق ، أتألم غاية الألم حتى لطالب علمٍ من طلابنا شرح الله صدره للإلتزام ، لكن الله لم يقدر لوالديه الهداية بعد ، فيرجع الطالب إلى والديه ليعنف ليرفع صوته عليهما ليوبخ ، ليقرع بدعوى أنه على الحق بل وربما يتكلم مع والدته أو مع والده ولسان حاله يقول أنا المتبع وأنت المبتدع ، أنا التقى وأنت الشقى ...هيهات هيهات ...رويداً رويداً ...إنك على شفا حفرة من الهلاك ! إنه والدك إنها أمك ولو كانا على الشرك والكفر فواجب عليك أن تحسن إليهما وأن تكون باراً بهما

"وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً" لقمان :١٥ رضا الرب فى رضا الوالدين وسخط الرب فى سخطهما ، أيها الحبيب هذا هو الطريق ، مغبون ورب الكعبة من ضيعه ، مخذول ورب الكعبة من لم يسر عليه ومن لا يحاسب عليه هذا هو البر ، ولا أريد أن أطيل فى فضل البر ...فالحديث طويل لكنى أريد أن ننتقل الآن سويا على جناح السرعة لندخل على بستان الأبرار لنستنشق عبير زهرات هذا البستان اليافع مع النبيين والصالحين وهذا هو

عنصرنا الثانى ... البر بالوالد الكافر

بإيجاز البر فى حياة الأنبياء والصالحين ، ومن البر أن أستهل الحديث عن البر بحياة من علم الدنيا كلها حلاوة البر إنه خليل الله إبراهيم ، تصور معى البر بوالد كافر ، بل تصوروا معى البر بوالد يصنع الأصنام ويرجو لها ويدعوا لها ، إن إبراهيم لا يقدم لنا نموذجاً من نماذج البر لأب صالح مسلم موحد تقى... لا... وإنما يقدم لنا نموذجاً فريداً من نماذج البر لوالد يصنع الأصنام الآلهة ! ويدعوا الناس إلى عبادتها من دون الله جل وعلا !

"وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً * قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً* قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً" مريم٤٧:٤١

اجمعوا كل أهل البلاغة فى الأرض يفسروا لنا هذه الكلمات ، بكلمات تقترب من جلالها وإيحائها محال محال يا أخى تدبر هذه اللفظة الرقراقة يا أبتِ يا أبتِ لا تنادى على والدك بإسمه يا أبتِ إنه ينادى على والد كافر تعلموا يا شباب الصحوة الأدب مع الوالدين يا أبتِ

"يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمِعُ وَلَا يُبْصِرُ ولا يغنى عنك شيئاً * يا أبتِ إنى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى أهدك صراطاً سوياً

* يا أبتِ لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصياً * يا أبتِ إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن" ٤٢:٤٥مريم
لم يقل عذاب من المنتقم ...من الجبار ...بل عذاب من الرحمن" إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً" مريم:45

وبعد هذا العرض المهذب الرقيق يثور أبوه فى قسوة وغلظة وشدة ويقول لولده البار "أراغب أنت عن ءالهتى يا إبراهيم" ألا تذعن لعبادة هذه الآلهة ؟ أتتخلى عن هذا الطريق طريق آبائك وأجدادك ؟ "أراغب أنت عن ءالهتى يا إبراهيم" تدعو الناس إلى عبادة الله الواحد الأحد وتوحيده بلا منازع أو شريك ، وتأمرهم أن يهجروا هذه الآلهة "أراغب أنت عن ءالهتى يا إبراهيم" ويأتى التهديد"لئن لم تنتهِ لأرجمنك" مريم: ٤٦ والد يهدد ابنه النبي صلى الله عليه وسلم ، البار التقى بالرجم إن دعا الناس إلى عبادة الله بلا منازع أو شريك "لأرجمنك" ويزداد الوعيد والتهديد "واهجرني ملياً" مريم :٤٦ أغرب عن وجهي لا أريد أن تحيا معي في هذا البيت ، بل ولا فى هذه البلدة بل ولا فى هذه المحلة ، ومع كل ذلك يرد الإبن البار بعد ما وصل التهديد إلى أعلى وتيرة يرد بمنتهى البر والأدب "سلام عليك" مريم: ٤٧ سلام عليك ، لم يغلظ له القول ، لم يقل أنت كافر وأنا موحد وأنا نبي وأنت جاهل وأنا تقي وأنت شقى مع إنه كافر يدعو الناس إلى الكفر"سلام عليك سأستغفر لك ربى إنه كان بي حفياً" مريم :٤٧ ثم كانت البراءة بعد ذلك ، بعد ما تبين أنه لن يعود إلى الله سبحانه ، ولن يوحد الله جل وعلا هذا الإبن البار ، يقول الله "هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ" الرحمن:٦٠ يقول الله "إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ" الصافات: ٨٠

أعظم بر.. عرفته الدنيا

فو الله ثم والله لقد رزق الله جل وعلا إبراهيم عليه السلام ابناً ما رأت الدنيا ولم تر الدنيا لبره مثيل إلى يوم القيامة ، نعم يا أخوة إنها الثمرة كان إبراهيم باراً بأبيه ، فرزقه الله إسماعيل ، والله الذى لا إله غيره ما ذكرت اسمه والله وما قرأت آيات القرءان فى سورة الصافات إلا وكاد قلبى والله أن ينخلع

أيها المسلمون أقسم بالله إنها صورة من صور البر لا يتصورها العقل أصلاً فضلاً عن أن يترجمها إلى واقع ، لا يقدر عليها إلا إسماعيل ، و كأنها ثمرة حلوة من ثمرات البر ، أراد الله أن يذيقها لإبراهيم الذى ضرب هو الآخر أروع الأمثلة فى البر للدنيا كلها ، أرأيتم قلباً أبوياً يتقبل أمراً يأباه هل تستطيع أن تذبح ولدك ؟ هل تستطيع أن تضع الطعام بين يديك وولدك يبكى يريد لقمة وأنت تصر على أن تأكل الطعام كله وحدك دون أن تخرج ما فى جوفك لتطعم ولدك ؟ مستحيل !

فالأبوة فطرة فيك يوم أن صرت أباً ، الأبوة غريزة يوم أن صرت والداً ، إذا ما رزقك الله الولد قذف فى ساعتها الأبوة بمعانيها لا يستطيع والد أن يفعل ذلك بوالده فأنا أقول

أرأيتم قلباً أبوياً يتقبل أمراً يأباه ... أرأيتم ابناً يتلقى أمراً بالذبح ويرضاه
ويجيب الإبن بلا فزع افعل ما تؤمر أبتاه ... لم أعصى لإلهى أمراً من يعصى يوماً مولاه
واستل الوالد سكيناً واستسلم ابن لرداه ... ألقاه برفق لجبين كى لا تتلقى عيناه
وتهز الكون ضراعات ودعاء يقبله الله ... تتضرع للرب الأعلى أرض وسماء وميـاه
ويجيب الحق ورحمته سبقت فى فضل عطاياه ... صدقت الرؤيا لا تحزن يا إبراهيم فديناه

"فبشرناه بغلام حليم" مريم:١١٠ الله حليم وانتبه ، فهذه تزكية رب العالمين لإسماعيل ، تزكية من الله بالحلم لإسماعيل

"فبشرناه بغلام حليم الله حليم * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاء الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ" الصافات ١١١:١٠٩ سلام على إبراهيم ، سلام على من علم الدنيا البر ، سلام على بيت ثبت لأهل الأرض حلاوة البر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها

واسمع معى قول الله جل وعلا فى شأن يحيى بن زكريا عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام يقول الله له "يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً * وَحَنَاناً مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيّاً * وَبَرّاً بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّاراً عَصِيّاً*"مريم ١٣: ١٤ وقال الله فى شأن عيسى "قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً* وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً* وَبَرّاً بِوَالِدَتِي" مريم ٣٢: ٣٠ وقال الله فى شأن يوسف "فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَاء اللّهُ آمِنِينَ*وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّداً وَقَالَ يَا أَبَتِ هَـذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ" يوسف ١٠٠:٩٩ إلى آخر الآيات

يتمه تشريف لكل يتيم

أما نبينا المصطفى فقد شاء ربنا وقدر أن يموت والداه ، حتى لا ينشأ المصطفى يقول أبى أمى ، وإنما ليقول ربى ربى اسمع فنشأ الحبيب يتيماً ، فكان يتمه تشريف لكل يتيم ، ومع ذلك هو الذى علم الدنيا كلها حلاوة البر ، وحقيقة البر فكل ما استمعت إليه منى فى اللحظات الماضية إنما هو تأصيل للبر من كلام البار الصادق إمام النبيين وسيد المرسلين الرحمة المهداه والنعمة المسداة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله ومن والاه ، ومازال البر ممدداً فى حياة الصالحين من أبناء أمة سيد المرسلين

بـــــــار بأمه ...لو أقسم على الله لأبره

ومن أرق صور البر فى هذه الأمة ما حدّث عنه النبى صلى الله عليه وسلم وأخبر به دون أن يراه ، ففى صحيح مسلم أن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه كان إذا أقبل أمداد أهل اليمن والأمداد جمع مدد وهم الأعوان والمناصرون للنبى ولدينه فى الجهاد والقتال ، كان عمر ابن الخطاب إذا أقبل أمداد أهل اليمن للحج يذهب إليهم عمر ويسأل أمداد أهل اليمن ويقول :"أفيكم أويس بن عامر ؟" عمر يسأل عن رجل يقال له أويس بن عامر ، أفيكم أويس بن عامر ؟

حتى أتى على أويس بن عامر ، فقال له عمر :"أنت أويس بن عامر" قال :"نعم يا أمير المؤمنين" قال له عمر :"من مراد ثم من قرن" قرن بفتح القاف والراء وهما قبلتيين فى اليمن ، قال :"نعم" قال عمر :"كان بك برص فبرأت منه إلا موضع درهم" يعنى كنت مريض بالبرص فشفاك الله وبقى من المرض ما يشبه الدرهم فى جسدك فقط ، قال :"نعم" قال له عمر :"هل لك والدة ؟" لك أم ؟ قال :"نعم" قال عمر :"سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :"يأتى عليكم أويس بن عامر" انظر إلى الوصف النبوى :"يأتى عليكم أويس بن عامر من مراد ثم من قرن كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم له والدة أم بار بها لو أقسم على الله لأبره" له والدة هو بها بار لو أقسم على الله لأبره ...اسمع إليها ويا لها والله من جليلة ! فقال النبى صلى الله عليه وسلم لعمر للفاروق :"يا عمر إن أدركته إن استطعت أن يستغفر لك أويس بن عامر فليستغفر لك" عمر الفاروق الأواه الأواب ! عمر الذى أجرى الله الحق على لسانه وقلبه ! يا عمر إن أدركت أويساً لا تتركه ...لاتتركه... اجعله يستغفر لك رب العباد إن استطعت أن يستغفر لك فليستغفر لك ! فسيدنا عمر قال لأويس :"استغفر لى" انظروا إلى ثمرة البر ، انظروا إلى فضل البر يقول عمر لأويس استغفر لى ، فقال أويس بن عامر :"غفر الله لك يا أمير المؤمنين" استغفر له أويس ، ثم قال عمر:" أين تريد يا

أويس ؟" أين تذهب ؟ قال :"إلى الكوفة" فقال عمر :"هل أكتب لك إلى عاملها" يعنى أرسل معك رسالة من أمير المؤمنين ليستقبلك عامل الكوفة :حاكم الكوفة ، فقال أويس ابن عامر :"لا لا يا أمير المؤمنين وإنما أحب أن أكون فى غبراء الناس" قال :"فلما كان من العام المقبل جاء رجل من أشراف اليمن للحج فوافى عمر رضى الله عنه أى ذهب إلى عمر فسأله عمر عن أويس بن عامر" فقال الرجل :"تركت أويس بن عامر رث المتاع رث البيت قليل المتاع" هو لا يعرف حقيقة أويس ، فالرجل متواضع رجل فقير فقال له عمر رضوان الله عليه :"سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يأتى عليكم أويس بن عامر..." إلى آخر الحديث كما ذكرت ، فعاد هذا الرجل إلى أويس بن عامر ، وقال يا أويس استغفر لى وعرف السر ...استغفر لى ، فقال أويس بن عامر :"بل أنت أحدث عهداً بسفر صالح فاستغفر لى أنت" قال :"استغفر لى" ففطن أويس ، و قال له :"هل لقيت عمر ؟" عمر أظهر السر رضوان الله عليه أخبرك ، هل لقيت عمر" قال :"نعم" فاستغفر له أويس بن عامر رضوان الله عليه إنه البر وهذا أبو هريرة رضوان الله عليه كما روى البخارى فى الأدب المفرد بسند صحيح كان أبو هريرة إذا دخل وإذا خرج ، إذا دخل ينادى على أمه : "السلام عليكم ورحمة الله وبركاته يا أماه" فترد عليه أمه وتقول :"وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته يا بنى" فيقول أبو هريرة "رحمك الله كما ربيتينى صغيراً" فتقول له أمه "وجزاك الله خيراً كما بررتنى كبيرة" انظروا إلى حلاوة البر وحياة البر

وهذا على بن الحسين زين العابدين كان لا يأكل أبداً مع أمه فى إناء واحد مع أنه من أبر الناس ، فسأل يوماً يعنى لا تأكل مع أمك وأنت من أبر الناس فقال :"والله أخشى أن تسبق يدى إلى طعام سبقت إليه عيناها فأكون قد عققتها" آآآه والله إن الحلق ليجف ، وإن القلب ليرتعد ، وإن الكلمات لتتوارى على خجل واستحياء أمام هؤلاء الجبال !

قال المأمون :"ما رأيت أحداً أبر بأبيه من الفضل ابن يحيى" قال :"وكان أبوه يحيى مريضاً لا يتوضأ أبداً إلا بماء ساخن" قال :"فلم يستطع الفضل بن يحيى أن يحرق حطباً ليسخن الماء لأبيه ليتوضأ به" قال : "فظل الفضل بن يحيى يحمل الإناء بالماء وقد قرب الإناء من نار المصباح" تصور نار مصباح شعلة صغيرة ، ظل يحمل الإناء فيه الماء ، وقد قربه من نار المصباح حتى الصباح ، فاستيقظ أبوه فوجد الماء ساخناً ...صور فريدة من صور البر !

والسؤال الآن فإنى أرى عقارب الساعة قد واجهتنا بالعقوق ونحن نتحدث عن البر ، نعم أيها الأفاضل كيف نحقق البر ؟

والجواب فى عجالة بعد جلسة الاستراحة والله أسأل أن يجعلنا جميعاً من الأبرار إنه ولى ذلك والقادر عليه أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم

البـــــــر لا ينقطع بالموت

ثالثا : البر لا ينقطع بإيجاز ، فما زال الطريق أمامك مفتوح بفضل الله جل وعلا ، فالبر لا ينقطع بعد موت الوالدين ، ففى سنن ابن ماجة وسنن أبى داود بسند من باب الأمانة فيه على بن عبيد الساعدى لم يوافقه إلا بن حبان وبقية رجال الإسناد الثقات من حديث بن عمر أن رجل من بنى سلمة أتى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال يا رسول الله :"هل بقى علىّ من بر الوالدين شئ أبرهما به بعد موتهما ؟ قال :"نعم الصلاة عليهما" أى الدعاء ، فالصلاة هنا بمعنى الدعاء "الصلاة عليهما والإستغفار لهما وإنفاذ عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التى لا توصل إلا بهما وإكرام صديقهما"

باب الخير مفتوح وباب البر مفتوح ، ومازال الطريق أمامك طويلاً حتى بعد موت الوالدين ، إن حججت عن نفسك فحج عن والديك ، اعتمر عن والديك ، تصدق عن والديك ، استغفر لوالديك ، أكثر من الدعاء لوالديك ...تصدق عنهما

فما زال الطريق بفضل الله مفتوحاً ، وإن كنت قد وقعت فى العقوق فى حياتهما ، أرجو الله سبحانه وتعالى أن يبدل الله عقوقك إلى بر إن واظبت على هذا المنهج الذى بينت وأوصلت لك الآن إن ربى ولى ذلك ومولاه

تحقيق البـــــــــر

كيف نحقق البر ؟ أخيراً أيها الأحبة فى نقاط سريعة

أولاً: بصدق الإستعانة بالله جل وعلا ، إذ لا حول ولا قوة إلا بالله ، فمن وفقه الله للبر فهو الموفق ، ومن خذله الله فهو المخذول... نسأل الله أن يجعلنا من الموفقين السعداء إنه ولى ذلك والقادر عليه

ثانياً: المواظبة على قراءة القرآن بتدبر والوقوف طويلاً مع آيات البر وخطر العقوق ولا أريد أن أفصل

ثالثاً: مصاحبة الأبرار ممن ماتوا ومن الأحياء ، اصحب الأبرار من الأموات بمطالعة سيرهم وقراءة أحوالهم كما ذكرت الآن بعض النماذج واصحب الأبرار فى الدنيا ، إن وجدت ابناً باراً بوالديه الزمه وتمسك بصحبته واسمع منه وافتح له قلبك وأذنك فإن النفس قد تعلو فيها الهمة بسماع هذه الكلمات الطيبة من كلمات البر للوالدين ومن كلمات الصلة للأهل والأرحام

وعلى قدر أهل العزم تأتى العزائم ... وتأتى على قدر الكرام المكارم

وتعظم فى عين الصغير صغارها ... وتصغر فى عين العظيم العظائم

وسائل البـــــــــر

ومن هذه الوسائل أيضا أن تجتهد فى أن تحسن إلى الوالدين ولو بالكلمة إن لم تستطع بالمال وإن لم تستطع بالجاه فبكلمة طيبة فبدعوة فى كل صلاة إن استطعت فبكلمات رقيقة تذهب بها الآلام والأحزان والغموم عن الوالدين

أيها الأحبة الكرام لا أريد أن أشق على حضراتكم أكثر من ذلك ، فإنى أرى إخوانى يجلسون فى الشمس قبل أن أرتقى المنبر والله أسأل أن يقينا معهم حر النار إنه ولى ذلك والقادر عليه

اللهم ارحم والدينا كما ربيانا صغرا

اللهم ارحم والدينا كما ربيانا صغرا

اللهم ارحم والدينا كما ربيانا صغرا

تم بحمد الله

شاهدوا الدرس للنشر على النت فى قسم تفريغ الدروس فى منتديات الطريق إلى الله ...تفضلوا هنـــــا :
http://www.way2allah.com/forums/forumdisplay.php?s=d5fa851b936c6742ef5d2ac53524ee58&f=36